هدى النبى الأمين
فى تحقيق الوحدة بين المسلمين

بقلم

الدكتور / والى عبد الهادى إبراهيم

أستاذ الحديث المساعد

بكلية أصول الدين - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام علي النبي الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،

فإن القرآن الكريم في كثير من آياته قد دعا إلى الوحدة والتزام الصف الواحد وجعل هذه الوحدة شعاراً لجماعة المسلمين وأول ما يطالعنا من الآيات القرآنية التي كانت أساساً للوحدة والتي اتخذ منها الشعار العام للشخصية الإسلامية المتحدة , ما حكاه الله عن جدي العروبة والإسلام إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) [١] دعوا لأنفسهما بالإسلام لله تعالى والإخلاص له, وأن تكون ذريتهم (أمة) مسلمة لله تعالي, يدفعهم إلى العمل الإيمان بالله وتزكيهم الرحمة بخلق الله ويتوج حياتهم العملية التعاون والوحدة في سبيل الله , وبذلك كانت الوحدة في الإيمان والعمل أساساً وشعاراً للجماعة في نظر الإسلام منذ أن وضعت اللبنة الأولى في بنائه علي عهد مؤسسية إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام, ومما يؤكد أن الإسلام يرفع شعار الوحدة أن الله تعالى بعث رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) بهذا الدين للناس أجمعين ولم يخص به جنس دون جنس أو طبقة من الناس دون طبقة وأخذ يغرس في نفوس الناس معاني الوحدة فكلهم خلق الله وكلهم أولاد آدم .

قال تعالى في محكم آياته (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها).

وقال أيضاً (يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [٢] .

وقال سبحانه (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة)[٣]

وغير ذلك من النداءات التي تغرس في داخل الأفراد الوحدة

---

(١) سورة النساء آية (١)
(٢) سورة الأعراف آية (٣٥)
(٣) سورة الأعراف آية (٢٧)

الإنسانية , إن الإسلام قد جاء للعرب بلسان عربي وكتاب عربي ورسول عربي لا ليكونوا تجمعاً قومياً كما يمكن أن يحدث في أي جاهلية من جاهليات التاريخ ولا ليكونوا تجمعاً وطنياً تحت قيادة زعيم منهم ينشأ منهم دولة موحدة ذات كيان وحدود ولكن لينشأ منهم تجمعاً فريداً في التاريخ لينشأ منهم أمة العقيدة التي استحقت من الله وصفها بالخيرية﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ..... ﴾ وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بينت أن الإسلام قد نحّي عن أتباعه عصبيات الجنسية والإقليمية التي درج العرف البشري على اتخاذها أساساً للجماعات وسما بالإنسانية عن هذه الاعتبارات التي كثيرا ما تدفع أصحابها إلى التفرق والخصام وتغري بينهم العداوة والبغضاء فتفصم عرى الإنسانية الفاضلة وتقضي علي روح التعاون والتراحم , فمن ذلك ما روي عن حذيفة ﴿رضي الله عنه ﴾ قال :

قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ :

(كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون علي الله تعالي من الجعلان [١]) [٢]

وقال﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ في حديث آخر :

(المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى)[٣]

وقال ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ :

(يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد لا فضل لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ألا هل بلغت فليبلغ الشاهد الغائب) [٤] (رواه البيهقي عن جابر)

---

(١) الجعلان : جمع مفرد جعل على وزن عمر وهو الحرباء

(٢) أخرجه الترمزي في سننه كتاب المناقب باب (في فضل الشام واليمن) ح رقم ٣٩٥٥ . وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وأخرجه البزار في مسنده ج ٧ صـ ٣٤٠

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن حبيب بن خراش ج ٤ صـ ٢٥ وقال الهيسمي في المجمع في إسناده عبد الحمن بن عمرو وهو متروك .

(٤) رواه البيهقي عن جابر ، وقال الحافظ في أول كتاب المناقب ج ٦ صـ ٦٠٩ رواه أحمد والحارس وابن أبي حاتم من طريق أبي نضرة ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ صـ ٣٧٥ ح رقم ٤٤٩٤ .

وقال﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ :

(الناس سواء كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعبادة والمرء يكثر بإخوانه المسلمين ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له عليك بإخوان الصدق تعش في أكفانهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء)[١].

فمن هنا يتضح لنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية يدعوان المسلمين إلي الوحدة ونبذ الفرقة ويجعلان التفاضل بالتقوى والعمل الصالح لا للجنس واللون والعنصر والحسب فكل هذه الأمور تذوب عندما تتوحد الأمة وتتفق حول رأي وأحد فإنه مما تتميز به هذه الأمة دون سائر الأمم أن ربها واحد وهو الرحمن وأن نبيها واحد وهو محمد وأن كتابها واحد وهو القرآن الكريم وقبلتها واحدة .

مفهوم الوحدة وأنها فريضة شرعية

إذا نظرنا في القرآن الكريم وفي السنة المشرفة لوجدنا أنهما ما حرصا على شيء بعد التوحيد حرصهما علي تأكيد وحدة الأمة, قال تعالى:﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ [٢] وقال تعالى:﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ [٣] فإذا كانت الآية الأولى قد قررت وحدة الأمة ولا شيء غير ذلك فإن الآية الأخرى قد أمرت بالوحدة وفي السنة وردت أحاديث كثيرة عنه ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ ومواقف متعددة دعا فيها الرسول﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ المسلمين إلى التوحد ونبذ الاختلاف وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى الفرقة ومن ذلك قوله﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ :

(أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة) [٤]

---

(١) الحسن بن سفيان وأبو بشر الدولابي والعسكري في الأمثال وابن عساكر عن سهل بن سعد وبن عدي في الكامل عن أنس وبن حبان في المجروحين ج ١ صـ ١٩٨

(٢) الأنبياء آية (٩٢) .

(٣) آل عمران آية (١٠٣) .

(٤) رواه أحمد في مسنده ج ٥ صـ ٣٧٠ ح رقم ٣٨٩ ، قال صاحب الاكمال أخرجه من طريق زكريا بن سلام عن أبيه عن رجل يقال له البغوي أنه انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : يا أيها الناس .. الحديث في سنده زكريا وهو مجهول .

وقال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾

(إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ويسخط لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) (١)

وعند مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله﴿صلى الله عليه وسلم﴾:(المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) (٢)

فهذه النصوص وغيرها تدل دلالة صريحة على أن وحدة الأمة فريضة شرعية ومن يجد في نفسه غير ذلك فعليه بالتوقف ومراجعة النفس .

وفي ذلك يقول الأستاذ الدكتور طه جابر فياض العلواني في مقدمة كتاب (أدب الإختلاف في الإسلام): (إن كتاب الله وسنة رسوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ماحرصا على شيء بعد التوحيد حرصهما على تأكيد وحدة الأمة ونبذ الاختلاف بين أبنائها ومعالجة كل ما من شأنه أن يعكر صفو العلاقة بين المسلمين أو يخدش أخوة المؤمنين ولعل مبادئ الإسلام ما نددت بشيء بعد الإشراك تنديدها باختلاف الأمة وما حضت على أمر بعد الإيمان بالله حضها على الوحدة والائتلاف بين المسلمين وأوامر الله ورسوله واضحة في دعوتها لاتحاد الأمة التي تكون كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه أصابه الوهن كله .

(وقال الشيخ الغزالي : قيل لأحد الشيوخ أدرك المصلين في المسجد ، يوشك أن يتقاتلوا ، قال : علام ؟ قيل بعضهم يريد أن يصلي التراويح ثماني ركعات ، والبعض يريد صلاتها عشرين قال : ثم ماذا ؟ قال هم في انتظار فتواك . قال : الفتوى أن يغلق المسجد فلا تصلي فيه تراويح البته ,لأنها لا تعدو أن تكون نافلة ووحدة المسلمين فريضة ، ولا قامت نافلة تهدم الفريضة)

وقد جاءت شرائع الإسلام مؤكدة ذلك الأمر وموضحة له ففي جانب العقيدة تتجلى الوحدة بين المسلمين في إيمانهم بإله واحد لا شريك له قال تعالي :

---

(١) صحيح مسلم كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ج ٤

﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ سورة البقرة (١٦٣) .

- وفي العبادة فإن العمل الواحد في حقيقته وصورته يختلف أجره اختلافا كبيرا حين يؤديه الإنسان مع آخرين في جماعة فإن ركعتي الفجر أو ركعات الظهر هي لم تزد شيئا عندما يؤثر المرء أدائها في جماعة عن أدائها في عزلة ومع ذلك فقد ضاعف الإسلام أجرها بضعا وعشرين مرة أو يزيد وذلك عندما يقف الإنسان مع غيره بين يدي الله وهذا إغراء شديد بالانضواء إلى الجماعة ونبذ العزلة ودفع بالإنسان إلى الانسلاخ من وحدته والاندماج في أمته فالإسلام يكره للمسلم أن ينحصر في نطاق نفسه وأن يستوحش في تفكيره وإحساسه وأن ينأى بمصلحته عن مصلحة الجماعة وحياتها .

وفي الحديث (... ثلاث لا يغل[1] عليهن قلب امرئ مؤمن : إخلاص العمل لله والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعاءهم يحيط من ورائهم) .

ولكي يمتزج المسلم بالمجتمع الذي يحيا فيه شرع الله الجماعة للصلوات اليومية ورغب في حضورها وتكثير الخطا إليها , ثم ألزم أهل القرية الصغيرة أو الحي الأهل بالسكان أن يلتفوا كل أسبوع لصلاة الجمعة ثم دعا إلى اجتماع أكبر في صلاة العيد جعل مكانه الأرض الفضاء خارج البلد وأمر الرجال والنساء حتى الحيض بإتيانه إتماما للنفع وزيادة في الخير .

فهم يتجهون في صلاتهم إلي قبلة واحدة قال تعالي :

﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما

---

(١) قال في النهاية

(لا يغل) من الإغلال وهو الخيانة ، ويروى " يغل " من الغل وهو الحقد والشحناء ، ويحتمل أن يكون قوله " عليهن " حالا من القلب ، الفاعل . فيكون المعنى : قلب الرجل المسلم ، حال كونه متصفا بهذه الخصال الثالث ، لا يصدر عنه الخيانة والحقد والشحناء ، ولا يدخله مما يزيله عن الحق ، ويحتمل أن يكون قوله (عليهن) متعلقا بقوله (يغل) أي لا يخون في هذه الخصال . أي من شأن قلب المسلم أن لا يخون ولا يحسد فيها .

انظر :(*) سنن ابن ماجه المقدمة باب من بلغ علما ج٢٣٠ وقال في الزوائد متنه ثابت عند الأئمة .

(*) سنن الدارمي مقدمة باب ٢٤ .

(*) مسند أحمد ج٣ ص٢٢٥ عن زيد بن ثابت .

كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ البقرة آية (١٥٠)

ويقتدون بإمام واحد يتبعونه فلا يسبقونه ولا يخالفون ، وفي الزكاة المفروضة في الأموال ما يجعل من المسلمين أمة واحدة تقتسم فيما بينها خيرات الحياة وتتعاون في تحمل بأسائها إلى جانب غيرها من الحقوق المالية والأدبية التي يشير إليها رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ وهو يمتدح جماعة من المسلمين فيقول : (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه فيما بينهم في اناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم) (١).

– وهم في الصيام يصومون جميعا إذا رأوا هلال رمضان ويمسكون إذا طلع الفجر، ويفطرون إذا رأوا هلال شوال ويخرجون لصلاة العيد في كل مكان يرددون نفس الكلمات :{ الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله أكبر الله أكبر ولله الحمد }.

– ثم أذن إلي حشد أضخم يضم الشتات من المشرق إلي المغرب ففرض الحج فهم في الحج يلبون نداءا واحدا صدر إليهم في عهد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي أمره الله تعالي فقال ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ سورة الحج الآيات (٢٧) , (٢٨) , (٢٩)

ويأتون في وقت واحد هو أشهر الحج ﴿ الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ البقرة الآية (١١٧)

يقفون علي عرفات في وقت واحد و يفيضون منه وهم متحدون في النية والاتجاه والقصد و الفعل والأماكن. لقد جاءوا من شتى البقاع ومن مختلف الألوان والألسنة ما يجمعهم إلا الإسلام ودعوته التي تغذي العقيدة وتدعم مبدأ الأخوة بالعمل الموقظ للشعور والباعث على التدين الجامع بين المسلم وأخيه على مبدأ حق وهدف يسعى إليه الجميع ويتعلون

---

(١) هذا الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشركة باب (الشركة في الطعام والنهد والعروض) ح رقم ٢٤٨٦ عن أبي موسى الأشعري ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب (فضائل الأشعريين)

الجميع لخير الجميع , ولو أننا نظرنا إلى موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لوجدنا أنها أيضا وسيلة من وسائل تآلف المسلمين وترابطهم حيث إن المسلم يشعر أخاه المسلم أنه لايريد له أن يقع في المآثم والحرج وأن هذه المآثم والحرج سبب لغضب الله عز وجل وبالتالي سبب لانتشار الفاحشة بين المؤمنين قال تعالى :

﴿ كنتم خير أمه أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١)

وقال جل وعلا : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ (٢).

– وكان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ يوصي في رحله وترحاله بالتجمع والاتحاد شديد التحذير من عواقب الاعتزال و الفرقة .

عن سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾:

(الشيطان يهم بالواحد والاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم) (٣).

وقد رأى في سفره أن القافلة عندما تستريح يتفرق أهلها هنا وهناك كأنما ليس بينهم رباط , فكره هذا المنظر ونفر منه .

– عن أبي ثعلبة كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشعاب و الأودية فقال النبي ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ :

(إن تفرقكم هذا من الشيطان فلم ينزلوا بعد إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال لو بسط عليهم ثوب لعمهم) (٤). و ذلك أثر امتزاج المشاعر و تبادل الحب و انسجام الصفوف .

(إن الناس إن لم يجمعهم الحق شعبهم الباطل , وإذا لم توحدهم عبادة الرحمن مزقتهم عبادة الشيطان , و إذا لم يستهوهم نعيم الآخرة

---

(١) سورة آل عمزان .

(٢) سورة التوبة .

(٣) مالك في الموطأ كتاب الاستئذان باب ما جاء في الوحدة في السفر للرجال والنساء ج ٢ صـ ٩٧٨ وقال بن عبد البر مرسل ووصله قاسم بن أصبغ من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

(٤) الحاكم في المستدرك كتاب الجهاد ج ٢ صـ ١٢٦ وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

تخاصموا على متاع الدنيا) (١)

ولذلك كان التطاحن المر من خصائص الجاهلية المظلمة و ديدن من لا إيمان له

قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ :

(لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) (٢)

يعني أن هذا العراك الدامي شأن الكافرين المنقسمين على أنفسهم أحزابا متناحرة .

هديه صلى الله عليه وسلم في توحيد الأمة

(١) المؤاخاة :-

لقد سلك ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ في تدعيمه الوحدة بين المسلمين مسالك كثيرة لها أهميتها في تحقيق الوحدة وحمايتها من عوامل النزاع والشقاق والفرقة والأنانية ومن أهمها :

تقريره للأخوة بين المسلمين وعقد الموالاه بينهم وبيان ما يتطلبه الإخاء من التناصر والتعاون .

فالرسول ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ عندما هاجر إلى المدينة كان بين أهلها عداوة شديدة وحروب كثيرة فلما أكرمهم الله بالإسلام وآخى بينهم رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ فتغير الحال فأصبحوا بنعمة الله إخوانا وقد قال أحد اللذين بايعوا النبي ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ من الأنصار وقد أبصر من وراء كلمات النبي ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ ما تهدف إليه دعوته من جمع للكلمة ووحدة للهدف ويسعى إلى المودة والألفة فقال يا رسول الله :-

(والله لقد تركنا قومنا ولا من العرب بينه ما بينهم من العداوة فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز[٣] منك وقد كان ما توقعه هذا الرجل البصير الملهم إذ صارت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين الذين آمنوا به

---

(١) خلق المسلم .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب (الانصات للعلماء) ج ١ صـ ٥٦

و سلم في صحيحه كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر. ج ١ صـ ٨١-٨٢

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ صـ ٥٥ ط المكتب الثقافي ٢٦ درب الأتراك خلف الأزهر

وعزروه ونصروه وأتبعوا النور الذي أنزل معه وأصبحوا بعد العداوة إخوانا متحابين بجلال الله متواصلين في ذات الله متعاونين على البر والتقوى وهدوا إلى الإيمان بعد الضلال وأغناهم الله بعد أن كانوا عاله .

ثم أن الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار , آخى بينهم علي الحق والمواساة , وعلى أن يتوارثوا بينهم بعد الممات , بحيث يكون أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر قرابة الرحم .فجعل جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين , جعل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخوين , وجعل أبا بكر الصديق ﴿ رضي الله عنه ﴾ وخارجة بن زهير أخوين , وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين , وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين , والزبير بن العوام وسلامة بن سلامة أخوين , ويقال بل الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين . وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن النزر أخوين , وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين ,

وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبي بن كعب أخوين , ومصعب بن عمير بن هاشم وأبو أيوب وخالد بن زيد أخوين . وأبوحذيفة بن عتبة بن ربيعه وعياد بن بشر أخوين وعمار بن ياسر و حذيفة بن اليمان أخوين , ويقال ثابت بن قيس بن الشماس أخو بلحارث بن الخزرج خطيب رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ وعمار بن ياسر أخوين , وأبو ذر الغفاري والمنذر بن عمرو أخوين .(١)

ثم ربط النبي ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ هذا التآخي بين أفراد الصحابة بنطاق عام من الأخوة والموالاة .

وقد قامت هذه الأخوة علي أسس مادية أيضا وكان حكم التوارث فيما بينهم من بعض هذه الظواهر المادية , وظلت حقوق هذا الإخاء مقدمة علي حقوق القرابة إلي موقعة بدر الكبرى .

حيث نزل في أعقابها قوله تعالى : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم ﴾ (٢). فنسخت هذه الآية ما كان قبلها وانقطع أثر المؤاخاة الإسلامية في الميراث , ورجع كل إنسان في ذلك إلى نسبه وذوى رحمة وأصبح المؤمنون كلهم أخوة.

روى البخاري عن ابن عباس : في التفسير قال :

---

(١) سيرة بن هشام ج ٢ صـ ١٠٩

(٢) الأنفال آخر آية .

(كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمة للأخوة التي آخى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بينهم فلما نزلت : ﴿ ولكل جعلنا موالي ﴾ (١) " نسخت ثم قال ﴿ والذين عقدت أيمانكم ﴾ أي من النصر و الرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ولقد كان ذلك الإخاء والتآلف بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار نعمة بل من أجل النعم التي أيد الله بها رسوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال تعالى : ﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم . لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ (٢)

يقول بن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : (ذكر نعمته عليه بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار فقال : ﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ﴾ أي جمعها على الإيمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك ,

﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ﴾ أي لما كان بينهم من العداوة والبغضاء , فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية بين الأوس والخزرج وأمور يلزم منها التسلسل في الشر حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان كما قال تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم علي شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (٣)

- وفي الصحيحين عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال :

(لما أفاء الله على رسوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئا , فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس , فخطبهم فقال : يا معشر الأنصار , ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي , وكنتم متفرقين فألفكم الله بي , وعالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمن : قال ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ؟ قال : كلما قال شيئا قالوا :- الله ورسوله أمن . قال : لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا . ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير , وتذهبون بالنبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾

---

(١) النساء آية (٣٣) .
(٢) الأنفال آية (٦٣)
(٣) آل عمران آية (١٠٣).

إلي رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها , الأنصار شعار , والناس دثار , إنكم ستلقون بعدي أثره , فاصبروا حتى تلقوني علي الحوض) (١)

- وروى البيهقي عن ابن العباس قال :

(قرابة الرحم تقطع ومنه النعمة تكفر ولم ير مثل تقارب القلوب , يقول الله تعالى : ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ﴾

قال مجاهد (٢) : (إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما فقيل لمجاهد بمصافحة يغفر لهما ؟

فقرأ مجاهد قوله تعالى ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾.

- وأخرج الطبراني رحمه الله عن سلمان الفارسي أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ قال : (إن المسلم إذا لقى أخاه المسلم فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما تتحات الورق عن الشجرة اليابسة (٣) في يوم ريح عاصف وإلا غفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحار)(٤).

كما أن الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ لم يدع سببا من أسباب تدعيم الإخاء بين المؤمنين إلا وحث عليه وما ورد عنه في آداب المشي وآداب الحديث وآداب المعاملة والاجتماع خير شاهد علي ما نقول .

فقد جاء عنه ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ فيض زاخر من الأحاديث في كل مجال من هذه المجالات مراعاة للمحبة والإخاء والتعاضد في كل المواطن وفي كل مجال من مجالات العمل المتعددة في البيت والشارع وفي السوق , وحيث يلتقي مسلم بمسلم وعلى سبيل المثال فقد ورد قوله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ :

(إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٧ كتاب المغازي باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان , حديث رقم ٤٣٣٠ ص ٦٤٤
(٢) تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٧٩ .
(٣) أي أن المتساقط من أغصانه عند جفافه يكون كثيرا .
(٤) المعجم الكبير للطبراني ج ٦ صـ ٢٥٦ – مجمع الزوائد ج ٨ صـ ٣٧ وقال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال سالم بن غيلان وهو ثقة – الترغيب والترهيب ج ٣ صـ ٢٧١ وقال الحافظ المنذري رواه الطبراني باسناد صحيح

بالناس أجل إن ذلك يحزنه). (١)

وعنه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال :

(لأن أعين أخي المؤمن على حاجته أحب إلي من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام) (٢).

وأنه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قضى على كل أسباب الخلاف والنزاع فقال :

(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا).

وعنه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال :

(لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا , المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث موات , بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) (٣).

وعنه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال :

(لن تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على ما تحبون عليه أفشوا السلام بينكم ، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تراحموا قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم ؟ قال إنه ليس برحمة أحدكم خاصة ولكن رحمة العامة رحمة العامة) (٤)

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال :

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه) (٥).

---

(١) صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب إذا كانوا أكثر من ثلاث رقم ح٦٢٩٠ عن ابن عمر .

(٢) أخرجه أبو الغنائم النرسي في قضاء الحوائج عن بن عمر رضي الله عنهما وذكره بن المبارك في كتاب الزهد جزء١ صـ ٢٥٨ وهو من كلام الحسن بن علي رضي الله عنه وأورده صاحب فيض القدير ج ٥ صـ ٢٥٥ عن أنس وفيه الحجاج بن فرافصة وأورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب تحريم الظن ح٢٥٦٣

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن أبي موسى ج ٤ صـ ١٨٥ وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي

(٥) صحيح البخاري كتاب الأدب ح٦٠٢٦ .

وسوف نتكلم عن صورة من تلك الصور التي تبين مدى أهمية المؤاخاة في خلق الوحدة بين المسلمين . وكيف كان لها أكبر الأثر في ذلك فقد بث روح المحبة والتآلف والترابط والإيثار بين المجتمع المسلم في كل الأوقات في الأمن والسلام وفي الحروب والشدة فصاروا يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حالة احتياجهم إلى ذلك وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه ﴾ (١)،وقوله : ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ (٢).

فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم إلى ما أنفقوه ،ومن هذا تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله . فقال له رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : (ما أبقيت لأهلك ، فقال رضي الله عنه : أبقيت لهم الله ورسوله)(٣) .

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : (أن رجلا أتى النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ، فبعث إلى نسائه ، فقلن : ما معنا إلا الماء ، فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : (من يضم – أو يضيف – هذا ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا . فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ، فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني . فقال : هيئي طعامك ، وأصبحي سراجك ، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء . فهيأت طعامها ، وأصبحت سراجها ، ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته ، فجعلا يريانه أنهما يأكلان , فباتا طاويين , فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فقال : ضحك الله الليلة – أو عجب – من فعالكما) .

فأنزل الله : ﴿ ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة , ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (٤)

وهذه قصة أخرى عن هؤلاء الرجال الذين يحملون في قلوبهم

---

(١) سورة الإنسان الآية (٨) .

(٢) سورة البقرة الآية (١٧٧) .

(٣) أخرجه الترمزي في سننه كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر ح رقم ٣٩٢١ عن عمر بن الخطاب وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح والحاكم في المستدرك ج ١ صـ ٥٧٤ وقال صحيح على شرط مسلم .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب مناقب الأنصار باب(ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصه) حديث ٣٧٩٨ .

الرحمة والشفقة لإخوانهم المسلمين وهي قصة الماء الذي عرض على عكرمة و أصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بوضعه إلى صاحبه وهو جريح متقل أحوج ما يكون إلى الماء فرده الأخر إلى الثالث فما وصل الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم .(١)

(٢) سده ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ الطريق أمام دعاة الفرقة بين المسلمين :

علمنا مما سبق أنه عندما انتقل الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ إلى المدينة المنورة كان جل إهتمامه هو المؤاخاة بين الأوس والخزرج حيث أزال ما بينهم من غل وحقد وصراعات قبلية وتفاخر بالأنساب والأمجاد وحل محلها الغيرة علي دين الله والتمسك به والحب في الله والتآخي ونبذ الخلافات والعداوات ونشر الحب والوئام ولكن ذلك لم يكن محل استحسان من اليهود أعداء الإسلام فكانوا يعملون على إحياء جذور الفرقة والصراع بين الأنصار للعمل علي تفكيك وحدة المسلمين ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق حيث قال:-

(مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا (٢) ,عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين , شديد الحسد لهم , على نفر من أصحاب رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم , يتحدثون فيه , وغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم , وصلاح ذات بينهم علي الإسلام , بعد الذي كان بينهم من عداوة في الجاهلية فقال :قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد , لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شابا من يهود كان معهم ، فقال : أعمد إليهم, فاجلس معهم , ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار يوم بعاث .

وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس و الخزرج وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج , وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلي , أبو أسيد بن حضير , وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي , فقتلا جميعا , قال ابن إسحاق : ففعل , فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب ،

(١) تفسير بن كثير ج ٤ صـ ٢٧ سورة الحشر
(٢) عسا الشيخ أي كبر

أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث , من الأوس (وجبار بن صخر) أحد بني سلمة من الخزرج , فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذعة فغضب الفريقان جميعا , وقالوا : قد فعلنا , موعدكم الظاهرة – والظاهرة هي الحرة – السلاح السلاح فخرجوا إليها فبلغ ذلك رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم ,فقال يا معشر المسلمين , الله الله , أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذ به من الكفر, وألف به بين قلوبكم ؟ فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم , فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا, ثم انصرفوا مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ سامعين مطيعين , قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله (شأس بن قيس)

فأنزل الله تعالي في شأس بن قيس وما صنع :

﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بأيات الله والله شهيد على ما تعملون . قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ﴾

أنزل الله(١) في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم (شأس) من أمر الجاهلية :

﴿ يا أيها الذين ءامنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلي سراط مستقيم . يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . و اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون .ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾

فهذه الآية الكريمة تدعوا المسلمين إلى التجمع وليس إلى الفرقة

(١) سيرة بن هشام ج ٢ صـ ١٤٧

ففي قوله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ....﴾ أي كونوا أمة متحدة متآخية متعاونة واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء . كنتم قبل الإسلام أعداء يأكل القوي منكم الضعيف ويظلم القادر غير القادر . فجمع الإسلام بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا ويلاحظ من الآية الكريمة أن الله قد أمرنا بالاتحاد والاتحاد من منظور إيماني ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ﴾

اعتصموا برباط الإيمان , اتحدوا واجعلوا منطلق هذا الاتحاد الكتاب والسنة والإيمان بالله والاقتداء برسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ ولم يتركنا الله بهذا الأمر وحده ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ﴾ وإنما أضاف النهي عن غيره فقال ﴿ ولا تفرقوا ﴾ ثم بين أن الإسلام حينما يجمعنا وحينما نتحد به فهذه نعمة من الله عظمى , بدون الإسلام نتقاتل وبدون الإسلام نتشرزم .

وفي غزوة بني المصطلق لما تشاجر رجل من الأنصار مع رجل من المهاجرين فكسع [١] أحدهما الآخر وصاح كل منهما بعشيرته وحاول زعيم المنافقين عبد الله بن أبي إشعال نار الفتنة وقال والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منا الأول ثم أقبل على من عنده وقال : (هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وأسكنتموهم دياركم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا من بلادكم إلي غيرها) .

غير أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ استطاع أن يقضي علي الفتنة في مهدها وأن يعود بالمسلمين إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه من الاتحاد والقوة والمنعة وأن يبقى عليهم كما وصفهم في قوله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ :

(المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم)

فعن جابر بن عبد الله قال : كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمعها الله رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ قال : ما هذا ؟ فقالوا :كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار, فقال الأنصاري :

---

(١) كسع : قال في النهاية " أن رجلا كسع رجلا من الأنصار أي ضرب دبره بيده النهاية في غريب الحديث و الأثر لابن الأثير ج٤ ص١٥٠ ط بيروت .

يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين , فقال النبي ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ : دعوها فإنها فتنة .

قال جابر وكانت الأنصار حين قدم النبي ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ أكثر ثم كثر المهاجرون بعد ذلك فقال عبد الله بن أبي : أوقد فعلوا ؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق قال النبي ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾:

(دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه) . رواه البخاري

وقال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال : يا نبي الله والله لقد رحت في ساعة منكرة , ما كنت تروح في مثلها ! فقال له رسول الله﴿صلى الله عليه وسلم ﴾:

أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله , قال :عبدالله بن أبي , قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل , قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت , هو والله الذليل وأنت العزيز , ثم قال : يا رسول الله أرفق به , فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد سلبته ملكا . ثم مشى رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس , ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا الأرض فوقعوا نياما [١] وإنما فعل ذلك رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي وفي هذا دليل واضح وبرهان ساطع على شدة حرصه ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ على بث روح المحبة والألفة والترابط بين المسلمين .

(٣) خلقه صلى الله عليه وسلم الشعور بالوحدة بين المسلمين :-

لقد كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ حريصا أشد الحرص على خلق روح الوحدة بين المسلمين كلما وجد إلى ذلك سبيلا وذلك حرصا منه على توحد المسلمين وتماسكهم حتى في أكثر المواقف حرجا ومن ذلك ما حدث في غزوة بدر الكبرى وذلك عندما قدم رسول

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ صـ ٣٠٠

الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الصفراء وهي قرية بين جبلين فسأل عن جبليهما ما أسماؤهما ؟ فقالوا يقال لأحدهما مسلح وللآخر مغري : وسأل عن أهلهما فقيل بنو النار وبنو حراق بطنان من غفار .

فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال وأحسن , فقال له رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ خيرا ودعا له ثم قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾:

(أشيروا علي أيها الناس) وإنما يريد الأنصار فلما قال ذلك رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال له سعد بن معاذ :والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال: أجل , قال: فقد أمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريد منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله . قال فسر رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بقول سعد ثم قال : (سيروا وابشروا فان الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم هكذا) رواه ابن إسحاق رحمه الله (١).

ففي مشورته ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لقادة المهاجرين ثم أخذه رأي الأنصار برهان قاطع على خلقه شعور الترابط والوحدة بين الصف المسلم وفي غزوة تبوك خرج رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وتخلف أقوام من أصحابه رضي الله عنهم بسبب عدم وجدان شيء يركبون عليه.

فإن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حرص على خلق روح الوحدة بين المسلمين ببيانه أن هؤلاء الذين تخلفوا إنما حبسهم العذر وأكد أنهم كانوا معهم في كل خطوة يخطونها يشعرون ويحسون بإحساسهم .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال :

(أن بالمدينة أقواما ما سرتم سيرا ولا أنفقتم ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم . قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة ! قال وهم بالمدينة حبسهم

---

(١) البداية والنهاية المجلد الثاني الجزء ٣ صـ ٢٦١ .

العذر) (١)

وفي رواية أخرى أنه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال :

(أن أقواما بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا)

وعند أبي داود (لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتم من سيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه , قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة قال : حبسهم العذر)(٢)

قال المهلب : يشهد لهذا الحديث قوله تعالى :

﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر﴾ النساء آية (٩٥)

فإنه فاضل بين المجاهدين والقاعدين ثم استثنى أولي الضرر من القاعدين فكأنه ألحقهم بالفاضلين وفيه أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل ويدل على هذا حديث رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ :

(نية المرء خير من عمله) (٣) .

(٤) إلغاؤه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الفواصل بين أفراد الأمة :-

لقد عالج بالقرآن أدواء البشرية بأنجح دواء وقضى به على التمايز بين الناس بالأحساب والأنساب ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ سورة الحجرات (١٣)

وحينما جاء أهل مكة وسادتها وقالوا له ما ينبغي لصعاليك مكة أن يجلسوا منا بمنزلة الأنداد والقرناء فقرأ عليهم قول الله تبارك وتعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب من حبسه العزر عن الغزو ح رقم ٢٨٣٩

(٢) سنن أبي دواد كتاب الجهاد – باب الرخصة في القعود من الغزو ح رقم ٢٥٠٥ . وبن ماجة في سننه كتاب الجهاد باب من حبسه العزر عن الجهاد ج٢ صـ ٩٢٣ وقال أبو عبد الله بن ماجة : أو كما قال . كتبته لفظا

(٣) شعب الايمان للبيهقي ج ٥ صـ ٣٤٣ ، ومعجم الطبراني ج ٦ صـ ١٨٥ عن سهل بن سعد وقال الهيثمي في المجمع رجاله موثقون إلا حاتم بن دينار الجرشي لم أرى من ذكر له ترجمه.

شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾
سورة الكهف الآيات (٢٨ , ٢٩)

فكان من هديه ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ في توحيد الأمة حرصه الشديد على إزالة الفواصل والفروق بين المسلمين فهم كل لا يتجزأ سواسية كأسنان المشط فلا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا بين غني وفقير ولا عبد وسيد ولا أبيض وأسود فالكل في الإسلام سواء أمام الله تعالى ولا يفضل رجل رجلا إلا بالعمل الصالح وكان من أهم آثار إلغاء الفواصل في الإسلام غرس بذور التوحيد والتماسك بين المسلمين .
وإلغاء كل الحواجز التي قد تضعف من توحد الأمة وإزالة العصبية القبلية ليحل محلها العصبية لدين الله تعالى فقال ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾:

(كلكم بنو آدم , وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان) (١)

وقال ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ :

(المسلمون إخوه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى) (٢)

وقال ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ :

(يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ألا هل بلغت فليبلغ الشاهد الغائب). (٣)
رواه البيهقي عن جابر

وقال ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾:

(الناس سواء كأسنان المشط) وإنما يتفاضلون بالعافية والمرء يكثر بإخوانه المسلمين ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي توى له عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء) (٤)

---

(١) سبق تخريجه صـ ٢ .
(٢) سبق تخريجه صـ ٢ .
(٣) كنز العمال جزء ٣ حديث رقم ٥٦٥٢ .
(٤) سبق تخريجه صـ ٢.

مقومات التضامن بين الفرد والجماعة

إن من أهم العوامل المساعدة على جمع المسلمين وجعلهم صفا واحدا كالبنيان المرصوص الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله فإن الإيمان يجعل من الأمة الإسلامية وحدة متماسكة لها فكر تعبر عنه وهدف تسعى إليه قال تعالى:

﴿آمن الرسول بما أنزل إلية من ربة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدا من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا﴾.

وقال تعالى : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾

وقال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ . قال ابن كثير (أي أن الجميع أخوة في الدين كما قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) (١) .

في الصحيح (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) (٢)

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾قال:(إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس) (٣) .

ومن مقومات التضامن أيضا بين المسلمين العمل على بث روح المحبة والتعاون البناء بينهم وإبعاد كل ما من شأنه بعث الشقاق والفرقة وإيجاد العداوة بينهم وذلك عن طريق :-

* الأمر بإصلاح ذات البين:- وهذه من أهم الوسائل التي تجمع بين قلوب المسلمين وتوحد صفوفهم وتذيب ما بينهم من عداوة وأحقاد قال تعالى :

﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :- أي فاتقوا الله في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا فما أتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه .

---

(١) صحيح مسلم ٨/٧١.
(٢) صحيح البخاري ٨/١١.
(٣) رواه أحمد في مسندة ٥/٣٤٠. وقال الهيثمي في المجمع ج ٨ صـ ١٨٧ رواه أحمد ، والطبراني في المعجم الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح

ولنذكر هاهنا حديثا أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي رحمه الله في مسنده عن سعيد عن أنس رضي الله عنه[١] بينما رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾جالس إذا رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ فقال:- رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة تبارك وتعالى فقال أحدهما : يا رب خذ لي مظلمتي من أخي . قال الله تعالى أعطي أخاك مظلمته قال : يا رب يبقي من حسناتي شيء قال:- رب فليحمل عني أوزاري قال : ففاضت عينا رسول الله ﷺ﴿ الله عليه وسلم ﴾بالبكاء ثم قال : إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم , فقال الله تعالى للطالب ارفع بصرك وأنظر في الجنان فرفع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ .لأي نبي هذا ؟ لأي صديق هذا ؟ لأي شهيد هذا ؟ قال هذا لمن أعطى ثمنه قال يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال : أنت تملكه قال : ماذا يا رب ؟ قال :تعفوا عن أخيك, قال يا رب فإني قد عفوت عنه,قال الله تعالى خذ بيد أخيك فادخلا الجنة . ثم قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم , فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة)[٢] .

وروى أبو داود عن أبي ألدرداء قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ :

(ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الحالقة)[٣]

ففي هذا الحديث حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها لأن الإصلاح يسبب الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين , وفساد ذات البين سلمة في الدين فمن تعاطى إصلاحها ورفع

---

(١) تفسير بن كثير ج٢ ص٣٣٤.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ صـ ٢١١ وقال رواه الحاكم من طريق سعيد بن أنس عن أنس وقال الحاكم صحيح الاسناد .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في إصلاح ذات البين حديث رقم ٤٩٠٩ . قال المنذري : وأخرجه الترمذي

وقال صحيح وقال أيضا . ويروى عنه ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ أنه قال هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين .

فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه وعنه ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ قال: -

(أفضل الصدقة إصلاح ذات البين) . رواه الطبراني والبيهقي عن ابن عمر .

وعنه ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ قال:

(إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة)[١] رواه الترمذي عن أبي هريرة .

ولأهمية الإصلاح بين المؤمنين رخص الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ في الكذب للساعي فيه ولا إثم عليه إذا كان بقصد الإصلاح فعن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ يقول :

(ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً) وعنها أيضاً أنها قالت (ما سمعت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث , كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقول لا أعده كاذباً الرجل يصلح بين الناس يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح , والرجل يقول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها)[٢] .

وهكذا فقد وردت آيات وآثار كثيرة تدعوا المؤمنين إلى إصلاح ذات البين وأنه فريضة مثل الصلاة والصيام قال تعالى ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾. وقال جل شأنه ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا ذات بينهما ﴾ وقال تعالى : ﴿ فأصلحوا بين أخويكم و اتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ .

وروى البزار عن أنس أن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ قال لأبي أيوب :

(ألا أدلك على تجارة قال :بلى : قال : تسعى في صلح بين الناس إذا تفاسدوا ، وتقاربوا بينهم إذا تباعدوا) .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ج ٤ صـ ٦٦٣ ح رقم ٢٥٠٨ وقال أبو عيسى حديث صحيح غريب من هذا الوجه

(٢) صحيح البخاري كتاب الصلح باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ح رقم ٢٦٩٢

ولم يتركنا الله سبحانه وتعالى بهذا الأمر وحده ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾. وإنما أضاف النهي عن غيره فقال تعالى :

﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ فبعد أن أمرهم الله تعالى بإصلاح ذات بينهم نهاهم عن التنازع والشقاق والاختلاف فيما بينهم فيكون ذلك سبباً لتخاذلهم وفشلهم وضعف قوتهم ووحدتهم وما كانوا فيه من الإقبال والسيادة .

وجاء عن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ أحاديث كثيرة في تحريم الهجر بين المسلمين فعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ قال :

(لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالي يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) (١).

وعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ قال:-

(ما من يوم إثنين ولا خميس إلا يرفع الله فيه الأعمال إلا المتهاجرين .)(٢)

ومن ذلك أيضاً نهيه ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ عن تتبع عورات المسلمين وتصيد ذلاتهم. فعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ أنه قال:

(من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلمة كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته)(٣)

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ قال :

(من ستر على مؤمن عوره فكأنما أحيا موؤدة من قبرها) (٤).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم الهجر فوق ثلاث أيام بلا عذر شرعي .

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير وقال الهيثمي في المجمع ج ٨ صـ ٦٧ رواه الطبراني وفيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي وثقه بن حبان وضعفه غيره .

(٣) ابن ماجه في سننه ج ٢ صـ ٨٥٠ كتاب الحدود باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات وقال في الزوائد في اسناده محمد بن عثمان بن صفوان الجمحي ، قال فيه أبو حاتم : منكر الحديث ، ضعيف الحديث . وقال الدراقطني ليس بقوي وذكره بن حبان في الثقات وباقي رجال الاسناد ثقات.

(٤) رواه أحمد في مسنده . صحيح بن حبان ج ٢ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ . وقال الهيثمي في المجمع ج ٦ صـ ٢٤٧ : رواه الطبراني في الأوسط وفيه طلحه بن زيد وهو ضعيف ورواه باسناد غيره وفيه معشر أخف ضعفا من طلحه وبقية رجاله رجال الصحيح.

تحذيره صلى الله عليه وسلم من الفرقة

قال تعالى : ﴿ وأن هذا صراط مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (١)

فعن ابن عباس في قوله (ولا تتبعوا السبل) قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرق وأخبرهم أنه إنما أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله . (٢)

وعن ابن عمر قال :خطبنا عمر بالجابية فقال (يا أيها الناس: إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ فينا فقال : أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد . ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان عليكم بالجماعة , وإياكم والفرقة , فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة . من سرته حسنة و ساءته سيئة فذلكم المؤمن) (٣) .

كما يرشد رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ إلى أن الله تعالى لا يجمع أمته علي ضلالة ففي الاجتماع والوحدة عصمة لهم من الخطأ. فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم ﴾ قال :

(إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد على ضلالة , ويد الله على الجماعة , ومن شذ شذ إلى النار) . (٤)

وقوله (من شذ شذ إلى النار) أي من انفرد عن الجماعة باعتقاد أو قول أو فعل لم يكونوا عليه (شذ إلى النار) أي انفرد فيها ومعناه انفرد عن أصحابه الذين هم أهل الجنة وألقي في النار) . (٥)

---

(١) سورة الأنعام (١٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير ج٢ ص١٨١ الدار المصرية اللبنانية .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه / كتاب الفتن باب لزوم الجماعة حديث ٢٢٥٤ وقال حسن صحيح (بحبوحة الجنة) بضم االموحدتين أي من أراد أن يسكن وسطها.

(٤) سنن الترمذي/ كتاب الفتن/ باب لزوم الجماعة حديث ٢٢٥٥ وقال هذا حديث غريب .

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي/ أبواب الفتن/ باب في لزوم الجماعة ص٣٢٢ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ :

(يد الله مع الجماعة) [١] أي أن الجماعة المتفقة من أهل الإسلام في كنف الله ووقايته فوقهم وهم بعيد عن الأذى والخوف , فأقيموا بين ظهرانيهم .

وفي المجمع : أي سكينته ورحمته مع المتفقين وهم بعيد عن الخوف والأذى والاضطراب , فإذا تفرقوا زالت السكينة وأوقع بأسهم بينهم وفسدت الأحوال[٢] .

وروى الإمام البخاري بسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه – قال: (كان الناس يسألون رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: نعم . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم وفية دخن . قلت : وما دخنه ؟ قال قوم يهدون بغير هدى , تعرف منهم وتنكر , قلت . فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم , دعاة على أبواب جهنم , من أجابهم إليها قذفوه فيها . قلت: يا رسول الله .صفهم لنا . قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا , قلت : فما تأمرني إن أدر كني ذلك ؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم , قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها , ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت علي ذلك . [٣]

ومعنى (لو أن تعض) كما قال البيضاوي : إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم .[٤]

وفي الحديث فوائد منها :-

(١)أنه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين

---

(١) سنن الترمذي/ كتاب الفتن/ باب في لزوم الجماعة/ حديث ٢١٦٦ وقال حسن غريب .

(٢) تحفة الاحوزي بشرح جامع الترمذي/ باب الفتن / ص٣٢٣ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة/ كتاب الفتن حديث ٧٠٨٤ .

(٤) فتح الباري ج١٣ كتاب الفتن ص٤٠ .

وترك الخروج على أئمة الجور لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم (دعاة على أبواب جهنم) ولم يقل فيهم(تعرف وتنكر) كما قال في الأولين وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة. [١]

(٢) أنه حتى لو لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحداً في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر . [٢]

(٣) وفي الحديث دعوة إلي الاعتصام والتمسك بالجماعة ونهي عن التفرق وأن ينقسم المسلمون أحزاباً فإن اجتماعهم , لو كان إمامهم عاصياً خير لهم من أن يتفرقوا شيعاً .

ومن الأحاديث التي تدعو إلى عدم السعي إلي تفريق المسلمين وتوسيع الخلاف بينهم أيضاً ما رواه الإمام مسلم عن أبى بكر قال: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: (إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من الساعي إليها ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه قال: فقال رجل يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض , قال يعمد إلى سيفه فيدق علي حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاة , اللهم هل بلغت , اللهم هل بلغت , اللهم هل بلغت , قال : فقال رجل يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني قال يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار) . [٣]

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة – رضي الله عنه : قال قال رسول الله﴿صلى الله عليه وسلم﴾: تكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليستعذ) [٤].

قوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: (فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليستعذ) أي عاصماً وموضعاً يلتجئ إليه ويعتزل فليعذ به أي فليعتزل فيه وأما قوله : ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ القائم فيه خير من الساعي

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ كتاب الفتن ج١٣ ص٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص٤١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي/ كتاب الفتن ج١٨ ص٩ المطبعة المصرية.

(٤) المرجع السابق ص٨.

فمعناه بيان عظيم خطرها والحث علي تجنبها والهرب منها ومن التشبث في شيء وأن شرها وفتنتها يكون على حسب التعلق بها . (١)

ومما يؤكد حرص الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ علي أمته وخوفه عليهم من بعده وتحذيره لهم مما يتعرضون له في مستقبل أيامهم , ما رواه الإمام أحمد عن أبي عامر عبد الله بن يحيى قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة : قام حين صلى صلاة الظهر فقال : إن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال: (إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وأنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه فلا يبقى منهم عرق ولا مفصل إلا دخله , والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم - ﴿صلى الله عليه وسلم﴾- لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به) . (٢)

فالرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يخبر أن أمته ستتفرق من بعده فرقا كثيرة وهذا تحذير منه ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ حتى تأخذ الأمة حيطتها وتأخذ بأسباب الوحدة وتتجنب كل ما يدعو إلى الفرقة وليس كما يتصور البعض بأن إخباره ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ واقع لن يمكن تغييره , لا ثم لا . إنما أراد أن يحذرهم لينتبهوا أو ينبههم ليحذروا إنه بمثابة إشعال الضوء الأحمر علامة الخطر حتى يتفادى السائرون السقوط في الحفر أو الاصطدام بالغير . (٣)

ولم يرد الحديث أن يغلق باب الأمل أو طريق العمل حتى تتحقق الوحدة . ومما سبق يتضح لنا دعوة رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إلي الوحدة والجماعة وتحذيره ونهيه عن الفرقة والشتات .

وقد بلغ من شدة حرص الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على توحيد الصف والبعد عن التفرق والشتات أن أمرهم ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ بتسوية الصفوف في الصلاة ونهاهم عن الاختلاف فيها فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﴿صلى الله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي/ كتاب الفتن ج١٨ ص٩ .
(٢) مسند الإمام أحمد وأبو داود كتاب السنة باب شرح السنة ح رقم ٤٥٨٤ وسكت عنه المنذري وبن ماجة في سننه كتاب الفتن باب افتراق الأمم ح رقم ٣٩٩٣ عن أنس وقال في الزوائد اسناده صحيح رجاله ثقات .
(٣) ثقافة الداعية د. يوسف القرضاوي ص٥٥ .

عليه وسلم ﴾ يمسح مكاننا في الصلاة ويقول لا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليليني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (١)

ومن ذلك أيضا أمره ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ المسلمين بأن يجتمعوا ولا يتفرقوا عند تناول الطعام فإن في تجمعهم بركة فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال : رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : (كلوا جمعا لا تفرقوا فإن البركة في الجماعة) . (٢)

وروى أبو داود بسنده أن أصحاب النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قالوا : (يا رسول الله إننا نأكل ولا نشبع قال فلعلكم تفترقون قالوا نعم, قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه).

فلو أن المسلمين تمسكوا لهذه المعاني وعملوا بها في حياتهم وطبقوها في سلوكهم لسادة المحبة بين المجتمع الإسلامي وانتشرت الفضيلة بين أفراده ولذالت الرذيلة من بينهم ولعادت للأمة هيبتها و مكانتها بين الأمم فهي خير أمة أخرجت للناس .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف رقم (٤٣٢).
(٢) رواه بن ماجة في سننه كتاب الأطعمة باب ١٧ رقم ٣٢٨٧ ص١٠٩٤.

الخاتمة

(١) إن الوحدة بين المسلمين درس يمليه الماضي ونداء يردده الحاضر ويدعو إليه المستقبل وأن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لم يدع سببا من أسباب تحقيق الوحدة بين المسلمين وتدعيم الإخاء بينهم إلا وحث عليه .

وإن العامل الرئيسي الذي جمع المسلمين وأصلح ذات بينهم ووحد كلمتهم هو الدين . ولكي ترجع للأمة الإسلامية والعربية هيبتها وكرامتها ومكانتها بين الأمم فلابد من الاتحاد والتضامن ولن يكون ذلك إلا بالاعتصام بحبل الله تعالي جميعا والاعتصام بحبل الله معناه العودة إلى القرآن والسنة والعمل بما أمر الله تعالى به وما أمر به رسوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾

يقول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (١)

وقال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ :

(تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا , كتاب الله وسنتي) (٢)

وقال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ :

(ستكون فتن كقطع الليل المظلم , قالوا ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله وسنتي).

وعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ :

(أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات

---

(١) سورة النساء .
(٢) الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة .

الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) . [١]

(٢) إن للفرقة القائمة بين الأمة الإسلامية اليوم – سياسيا وفكريا واقتصاديا واجتماعيا – آثار سيئة من هذه الآثار:-

(أ) الضعف والوهن :- قال تعالى ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ (٢).

فالآية تبين أن التنازع والتفرق يؤدي إلى الفشل والضعف والمسلمون في هذا القرن بعد ضياع جامعتهم الكبرى أوزاع مفرقون على أكثر من سبعين دولة كثرة ساحقة في بعضها وقلة مسحوقة في بعضها(٣).

ومظاهر هذا الضعف واضحة فالمسلمون الآن لا يستطيعون حماية مقدسا تهم واسترجاعها ولا يملكون التأثير علي العالم وفرض أراءهم علي الأمم .

(ب) تفكك المجتمع وفتور العلاقة بين المسلم وأخيه:- بل ربما تجاوز الحد ذلك وتحولت العلاقة بين المسلمين من المودة والرحمة إلي البغض والكراهية وذلك بين الشعوب الإسلامية في مختلف الدول وبين الشعب الواحد أيضا.

(ج) تأخر المسلمين عن غيرهم من الأمم:- فبينما تقدم ركب الأمم تأخر ركب المسلمين , نظر غير المسلمين في الكون وتأملوه فتعلموا وأحسنوا العمل بينما المسلمون قعدوا عن العلم والعمل وشغلهم عن ذلك الخلافات المستمرة بينهم ولقد أخذ العالم انطباعا سيئا عن الإسلام مما أدى إلى ضعف الدعوة الإسلامية في الخارج فكيف يدعو المسلمون العالم إلى الوحدة والإخاء من خلال دينهم وهم متفرقون متناخرون .

---

(٣) أخرجة أحمد في مسنده وأبو داود في سننه والترمذي في جامعه.
(١) سورة الأنفال (٤٦) .
(٢) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر/ محمد الغزالي/ ص٨٧ مكتبة وهبة لسنة ١٩٩٠م .

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واهتدى بهديه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

د/ والي عبد الهادي إبراهيم